٣ التحذير من النفاق

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: النفاق داء عضال ومرض خبيث وشر مستطير، لهذا

ذكر الله - عَزَّوَجَلَّ - المنافقين وصفاتهم كثيرًا في القرآن الكريم ، ففي أول سورة البقرة ذكر الله - عَزَّوَجَلَّ - طوائف العالم المؤمنين والكافرين والمنافقين ، فوصف الله - عَزَّوَجَلَّ - المؤمنين في أربع آيات ، والكافرين في آيتين ، والمنافقين في ثلاث عشرة آية ، وهذا يدل على خطر النفاق والمنافقين وأنهم بلاء على الإسلام وأهله .

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ۝١٦ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ۝١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ

وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١-٢٠] .

وهكذا كشف الله أسرارهم وهتك أستارهم في سورة آل عمران، وفي سورة النساء، بل هناك سورة في القرآن الكريم أسمها سورة المنافقون، حصر الله العداوة فيهم وبين جرائمهم فيها، بل هناك سورة في القرآن الكريم هي سورة التوبة سماها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سورة الفاضحة، كما في صحيح البخاري [1] عن سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سورة التوبة قال: «التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحدًا منهم إلا ذكر فيها».

لأن الله فضح المنافقين فيها ولكن الله- عَزَّوَجَلَّ - لم يذكرهم بأسمائهم لأمرين:

١- لأنه ستير يحب الستر.

٢- ولأنه لو سماهم لقال غيرهم من المنافقين لسنا منهم، لأن المنافقين قد سماهم الله - عَزَّوَجَلَّ -.

والنفاق ينقسم إلى قسمين:

الأول: النفاق الإعتقادي: وهو أن يظهر صاحبه الإيمان ويبطن الكفر، وهذا صاحبه إن مات عليه فهو من المخلدين في نار جهنم

الثاني: النفاق العملي: وهذا من كبائر الذنوب، وهو وسيلة إلى الوقوع في النفاق الإعتقادي.

قال الحافظ ابن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ- : والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة

(١) البخاري برقم (٤٨٨٢).

إلى النفاق الأكبر ، كما أن المعاصي بريد الكفر ، فكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت ، كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان ، فيصير منافقًا خالصًا. (١)

وقال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : فمن أصر على نفاق المعصية خشي عليه أن يفضي به إلى نفاق الكفر بالله . (٢)

وقد ثبت عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سئل من المنافق ؟ ، قال : الذي يصف الإسلام ولا يعمل به . (٣)

وقال ابن جريج -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : المنافق، يخالف قوله فعله، وسره علانيته ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه . (٤)

وقال إبراهيم بن يزيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا. (٥)

وقال علامة الشام الإمام الأوزاعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إن المؤمن يقول قليلًا ويعمل كثيرًا ، وإن المنافق يتكلم كثيرًا ويعمل قليلًا. (٦)

أيها المسلمون: لقد توعد الله - عَزَّوَجَلَّ - المنافقين بأشد العذاب قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠] .

---

(١) جامع العلوم والحكم ج٢(٤٩٢- ٤٩٣) .
(٢) فتح الباري ج١ (١١١) باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله.
(٣) صفة النفاق وذم المنافقين برقم (٦٩) للفر يا بي .
(٤) تفسير الطبري ج١(٢٧٧) وسنده قوي انظر تحقيق تفسير ابن كثير ج١(٢٧٣) .
(٥) رواه البخاري معلقًا ج١(١٣٥) باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله.
(٦) السير (٧(١٢٥) .

بل إن عذاب المنافقين أشد من عذاب الكافرين في جهنم كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥] ، أي في أسفل طبقات جهنم .

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٨] .أي موجعًا مؤلمًا للقلب وسائر البدن.

وقال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣] .

وقد أخبر الله - عَزَّوَجَلَّ - أن المنافقين أنجاس ، قال الله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦] .

ولقد خاف النبي ﷺ على أمته من المنافقين ففي مُسند أحمد [١] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أخوف ما أخاف على أمتي ، كل منافق عليم اللسان** » .

وفي مُسند البزار [٢] عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **حذرنا رسول الله ﷺ كل منافق عليم اللسان** » .

---

(١) أحمد برقم (١٤٣) وصحيح الجامع برقم (٢٣٩) .
(٢) البزار برقم (٣٥١٤) وصحيح الترغيب برقم (١٣٢) .

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهدم الإسلام ثلاثة : زلة عالم ، وجدال المنافق بالقرآن ، وأئمة مضلون . (١)

وعند أبي داود (٢) عن عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **من كان له وجهان في الدنيا ، كان له يوم القيامة لسانان من نار** » لسان يتكلم به مع المؤمنين، ولسان يتكلم به مع الكافرين.

وفي الصحيحين (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال : «**تجدون الناس معادن ،خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشد له كراهية ،وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه ، ويأتي هؤلاء بوجه** » .

وفي صحيح مسلم (٤) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال « **مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة** ».

ومعنى العائرة: المترددة الحائرة التي لا تدري أيهما تتبع .

ولهذا قال بعض السلف: احذر التلون في الدين لأنه صفة المنافقين.

يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٠٤-٢٠٦] .

---

(١) صفة النفاق وذم المنافقين برقم (٣٠) .
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٨٧٣) .
(٣) البخاري برقم (٣٤٩٤) ومسلم برقم (٢٥٢٦) .
(٤) مسلم برقم (٢٧٨٤) .

ولله در من قال:

لا خير في ود امرئ متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرب

فالمنافقون أجسامهم معجبة ، وأقوالهم معسولة ، ولكن بواطنهم خبيثة وخربة.

قال ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون : ٤] .

فأحوالهم كما قال البيحاني [(١)] -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

يدور مع الزجاجة حيث دارت ويلبس للسياسة ألف لبس
وعند المسلمين يُعد منهم ويطلب سهمه من كل خُمس
وعند الملحدين يعد منهم وعن ماركس يحفظ كل درس
ومثل الإنجليز إذا رآهم وفي باريس محسوب فرنسي

فالمنافقون شر ووبال على الإسلام والمسلمين في كل زمان وكان بل إن ضررهم على الإسلام وأهله أعظم من ضرر اليهود والنصارى فهم يتربصون بالمؤمنين الدوائر يتمونون لهم المصائب والهزائم .

(١) رباعيات البيحاني ص (٨٢) .

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] .

نسأل الله – عَزَّوَجَلَّ – أن يكفي المسلمين شرهم وبلائهم وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأن يختم بالصالحات أعمالنا ، وأن يصلح لنا جميع أحوالنا .

والحمد لله رب العالمين.